المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 27-09-2006
الصفحـات : 27
العـــدد : 14641
المسلسل : 182

الدكتور النملة : الإرهاب موجة لا جهوية لها ولا هوية «٢/٢»

اختلاط الديني بالشعبي أفرز التقصير في جانب المرأة

أكد المفكر الاسلامي الدكتو علي بن ابراهيم النملة ان البحث في موضوع الارهاب لابد ان يتعاطى مع الاسباب قبل النتائج. وقال في حواره مع «عكاظ» ان اختلاط الديني بالشعبي افرز التقصير في جانب المرأة مؤكدا في الوقت نفسه ان التطرف فالدين يولد غلوا مضادا ولفت الى ان التفكير في امور الدين والدنيا من منطلق انتمائي ظاهرة صحية كاشفا انه تتبع اسباب الارهاب وضمنها في كتاب سينشره قريبا. فالى تفاصيل الجزء الثاني والاخير من الحوار:

د. النملة: هناك غموض في التعاطي مع المرأة

د. النملة يتحدث لـ«عكاظ»

التطرف في تجاهل الدين يولد غلواً مضاداً

التفكير في أمور الدين والدنيا من منطلق انتمائي ظاهرة صحية

تتبعت أسباب الإرهاب وخرجت بعمل أنشره قريباً

المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 27-09-2006 العـــدد : 14641
الصفحـات : 27 المسلسل : 182

حاوره: خالد الفرم (الرياض)

لماذا تبرز قضية المرأة كإشكالية بارزة في الخطاب الديني وتتراجع قيم المطالبة بقيم العدالة الاجتماعية والمساواة وهما أهم؟

– صيغة هذا السؤال غامضة غموض التعاطي مع الشأن النسائي. الإشكالية ليست في المرأة، ولا ينبغي أن تكون. نحن لا نبحث في مكانة المرأة في المجتمع والحياة. مكانتها عندنا محسومة. هي جزء فاعل ومؤثر في بناء المجتمع والأمة، لها حقوقها وعليها واجباتها. أخشى أننا نقلنا أفكارًا من تراثات غربية لم تكن إيجابية مع جنس المرأة، حيث ٥٦٪ من النساء هناك، حسب الإحصائيات الأخيرة، يتعرضن للمضايقات غير الشريفة في بيئة العمل.

طفقنا نلوك هذه القضية في ضوء التقصير الاجتماعي بشأن المرأة من منطلق موروث شعبي، لم يكن إيجابيًا بحتًا مع المرأة، فاختلط الديني بالشعبي، واعتبر الشعبي دينيًا، فجعلنا من لا قضية قضية، طُرحت بأسلوب استفزازي، نتجت عنه علامات استفهام حول المقاصد وراء هذا الطرح. الموضوع لا يستحق كل هذا التشنج في موضوع المرأة، إذا ما اتبع الأسلوب العلمي المنطقي الموضوعي في معالجة موضوع المرأة، دون تغييب للمرأة نفسها في هذه المعالجة، مع تكييف للمعايير التي عاشتها المرأة المسلمة في العصور الإسلامية الأولى مع روح العصر.

المرأة لا تحتاج أكثر من أختها زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، في ذلك الوقت لم يكن موضوع المرأة يمثل إشكالية. ولم تكن هي –آنذاك– لا شيء، بل كانت عضوًا فاعلاً في مجتمعها على اختلاف في مجالات فاعليتها، دون المساس بمكانتها العالية. المرأة التي تبحث أكثر من ذلك لا تنصف نفسها ولا بنات جنسها، فلماذا تحول هذا الموضوع اليوم إلى إشكالية. وارجع –إن شئت– إلى شهادات الأخريات فيها.

هذه سيجريد هونكه، المستشرقة الألمانية المعاصرة، تصرح بكل وضوح، في كتاب لها تحت عنوان: الله ليس كذلك، صدرت ترجمته العربية عن دار بافاريا بألمانيا ومجلة النور بالكويت، وذلك في فصل خاص عن سوء فهم وضع المرأة في الإسلام، وفي المجتمع المسلم، حيث تقول حين سُئلت في أحد المؤتمرات الإسلامية عن نصيحتها للمرأة المسلمة:

«إذا أرادت المرأة العربية، والمقصود المسلمة، طي الماضي بخلعها الحجاب، فلا ينبغي عليها أن تتخذ المرأة الأوروبية أو الأمريكية أو الروسية قدوة تحتذي بها، وأن تهتدي بفكر عقائدي مهما كان مصدره، لأن في ذلك تمكينًا جديدًا للفكر الدخيل المؤدي إلى فقدها لمقوماتها شخصيتها. وإنما ينبغي عليها أن تستمسك بهدي الإسلام الأصيل، وأن تسلك سبيل السابقات من السلف الصالح اللاتي عشنه، منطلقات من قانون الفطرة التي فطرن عليها، وأن تلتمس العربية، والمقصود المسلمة، لديهن، أي لدى السابقات من السلف الصالح، المعايير والقيم التي عشن وفقًا لها، وأن تكيف تلك المعايير والقيم مع متطلبات العصر الضرورية، وأن تضع نصب عينها رسالتها الخطيرة المتمثلة في كونها أمّ جيل الغد العربي، أي الإسلامي، الذي يجب أن يُنشأ عصاميًا يعتمد على نفسه».

أرأيتم أن موضوع الطفل، وموضع ذوي الاحتياجات الخاصة، وذوي الظروف الخاصة مثلاً، وليست المرأة من هذه الفئات، حتى لا يفهم ذلك، لا تلقى هذا الكم من الطرح العاطفي، مع أن هذه الفئات لا تقل أهمية من غيرها في إثبات حقوقها. لماذا لا يواجه موضوع الطفل كما يواجه موضوع المرأة في التشنج في الطرح.

الذين يساقرون إلى البلاد المتقدمة يرون إلى أي حدٍّ وصلت فيه المرأة، لاسيما في الظاهر والاستغلال، بحيث ظهرت دعوات في تلك البيئة جادة لإعادة النظر في الشأن النسائي في هذه الدول المتقدمة. وأدعو إلى قراءة كتاب باتريك جيبه بوكانن: موت الغرب: أثر شيخوخة السكان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب، الصادر عن مكتبة العبيكان سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م في ٥٢٩ ص. وغيره من الطروحات الجادة؛ ليتبين إلى أي مستوى وصلت إليه الأمور في تلك المجتمعات، بسبب ما وصل إليه حال المرأة، مما جعل حكماء الغرب يدعون إلى عودة مفهوم الأسرة، ويشجعون على ذلك.

الأسرة لا تقوم إلا على المرأة. وتستحضر قصة الظهار في سورة المجادلة، وإلى ذلك الجدال الذي تم بين الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم وتلك المرأة التي ظاهرها زوجها، تقول للرسول الحبيب– عليه الصلاة والسلام– بشأن مصير أطفالها: إن تركتهم عندي جاعوا وإن تركتهم عند أبيهم ضاعوا. وتذكر الهيرالد تريبيون في عددها ليوم الاثنين ٢٠٠٦/٩/٤م أن معدل الولادات في بعض الدول الأوروبية قد تناقص إلى ١،٢، بينما المطلوب للإبقاء على السكان ينبغي ألا يقل عن ٢،١. مما يؤثر اقتصاديًا على اللحمة الأوروبية من خلال الاتحاد الأوروبي. تقول الصحيفة إن هذه الحالة لم تمر على هذه المنطقة في تاريخها من قبل. على أي حال، موضوع المرأة من الموضوعات التي تخضع، كذلك، للطرح الاستفزازي والعاطفي، الذي يصل إلى حد التشنج في الجدال، مما يعيق من العودة إلى النظرة المنصفة للمرأة، لاسيما عندما يدخل الناس في تحليل المقاصد، والولوج في النوايا.

عالمية الإرهاب

هل تعتقد أنه تم اجتثاث الإرهاب في المملكة؟ وهل لا زال هناك إرهابيون بين ظهرانينا؟

البحث في موضوع الإرهاب لا بد أن يتعاطى مع الأسباب قبل التعاطي مع النتائج. الإرهاب موجة عالمية، لا جهوية لها ولا هوية، تعدت حدود الجغرافيا والثقافة، هي من إفرازات الإحيائية الأولى التي عمت العالم وكل الأديان والملل والنحل. المسلمون

المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 27-09-2006 العـــدد : 14641
الصفحـات : 27 المسلسل : 182

ليسوا استثناءً من هذه الحالة. والإرهاب وليد التطرُّف في كلِّ شيء، بما في ذلك الغلو في الدين، دون حصر التطرُّف على الدين والمتديِّنين، ودون إيجاد مسوِّغات له مهما ظهر عليه. التطرُّف في مسار قد يكون وليدَ التطرُّف في مسار ظهر أنه مضادٌّ له.

التطرُّف في تجاهُل الدين يولِّد غلوًّا في التمسُّك بالدين، وهكذا هي سلسلة من التماسُّكات يقود بعضها إلى بعض. لا بد من التأكيد أن المملكة العربية السعودية، وكثير من الدول العربية والإسلامية، لم تتجاهل الدين، بل جعلته المسيِّر لحياتها العامة والخاصة، ووقفت في وجه العلمنة والعولمة/ الليبرالية الجديدة التي استهدفت الأديان، وقصرتها على العلاقة بين العبد وربِّه.

التعاطي مع الإرهاب من الناحية الأمنية هو هاجس القيادة والمواطن على حدٍّ سواء. القيادة عازمة على اجتثاث الإرهاب من جذوره، وليس من فروعه، الفروع هي التي تمثِّل النتائج.

الاجتثاث من الجذور هو التعامُل مع الأسباب. القيادة السعودية، وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وسمو ولي عهده الأمير سلطان بن عبدالعزيز وسمو وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز، وجهاز وزارة الداخلية بشؤونه الأمنية والعلماء والدعاة والوعَّاظ والمفكِّرون والمثقَّفون والمواطنون كافَّة واضحون تمامًا في التصدِّي للإرهاب. إنه في بلادنا مستغرب، لأن جوانب التقصير في العلم الشرعي، وفي سبل العيش المادية والثقافية محدودة جدًا، وغير مقصودة، ومساحة التقيُّد بأحكام الشرع هي الواضحة والملموسة. لا بد من التوكيد على ذلك وترسيخه في ذهن المواطن وغير المواطن.

المنفِّذون للعمليات الإرهابية والمؤيِّدون لهم والمتعاطفون معهم، يتضاءلون شيئًا فشيئًا مع مواصلة الجهود الأمنية والعلمية والفكرية، بحيث تُجتثُّ الأرضية التي يتَّكئ عليها الإرهاب. والإرهاب يتَّكئ على الغلو/التطرُّف في كلِّ شيء، وليس في الدين وحده، فالتطرُّف في مجال يولِّد تطرُّفًا مقابلاً له. ومن هنا يستمرُّ اجتثاث الإرهاب بالوقوف في وجه التطرُّف في كلِّ شيء.

كيف نضمن عدم ظهور أفة الإرهاب مرَّة أخرى؟

– أحسب أن التعاطي مع أسباب الإرهاب، بمعرفتها أولاً، ثم بمعالجتها بالوقاية منها ثانيًا، كفيلٌ –بإذن الله تعالى– في التصدِّي للإرهاب. وهذا ما تقوم به مؤسسات الدولة، ومؤسسات المجتمع المدني الحكومية وغير الحكومية، كذلك، مع التأكيد على الاستمرار في سدِّ الثغرات التي ينفذ من خلالها الإرهاب، سواء أكانت هذه الثغرات علمية أم فكرية أم ماديَّة ذات علاقة بمتطلَّبات الحياة، بمعنى ألاَّ يكون للإرهاب حجَّة قد تبعث على التأييد أو التعاطُف، ناهيك عن التنفيذ.

الإرهاب ظاهرة عالمية متعدِّدة الارتباطات، فيها عوامل داخلية وأخرى خارجية. لا نستطيع أن نستبعد العوامل الخارجية كما تركيزنا على العوامل الداخلية. في العالم من يغذِّي الإرهاب الموجَّه، ويستخدمه ورقة تلويح أمام بعض الدول التي تبغي النهوض، ويؤوي بعض العناصر المناوئة، ويصنع منهم أبطالاً، حتَّى ينتهي منهم ويستغني عن دورهم، فيبحث لهم عن تهمة تخرجهم من البلاد. وجود وطن قومي لليهود في فلسطين المحتلَّة في المنطقة العربية سببٌ لا ينبغي التهاون فيه على أنه أحد هذه الأسباب. وهذه مجموعة من علماء الغرب يكتبون عن العلاقة بين الإسلام والغرب في كتاب بعنوان: الغرب والإسلام، ترجمته مي ياسين، ونشرته بالقاهرة دار جهاد سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٤م يقرِّرون أنَّ «بعض محللي الغرب يعترفون بأن لإسرائيل دورًا في إيجاد تهديد إسلامي. فقد دأب مسؤولو الحكومة الإسرائيلية وأكاديميوها مؤخَّرًا على الترويج لما يدَّعون أنه شبكة عالمية من الإرهابيين والمتعصِّبين المسلمين المكرَّسين لتدمير الحضارة الغربية».

تنقل مي ياسين مترجمة الكتاب هذه العبارة عن مارياه ولت، من مركز تعزيز التفاهم العربي البريطاني، ثم تعقِّب المترجمة بالقول: «وهكذا تكفَّلت إسرائيل في وقت مبكِّر بمهمَّة تأليب العالم الغربي ضدَّ الإسلاميين، وكانت أولى من سعى إلى تهمة الإرهاب بالإسلام، وعمدت إلى تحريض العالم على تشكيل ما أسمته بتحالُف دولي ضدَّ الأصوليَّة والتطرُّف الإسلامي».

«ولا يكاد يمرُّ يوم دون أن تنشر الصحف العبرية تصريحات لمسؤولين إسرائيليين كبار، يحذِّرون فيها من الحركات الإسلامية، ويدَّعون أنها أضحت الخطر الأوَّل على استقرار المنطقة والعالم! كما أن الكُتَّاب الإسرائيليين جلبوا من الإسلام السياسي قضيَّتهم الأولى».

حاولت تتبُّع أسباب الإرهاب باستقراء بعض ما كُتب عنه، وخرجت من ذلك بعمل سيتمُّ نشره –إن شاء الله تعالى– قبل نهاية هذا العام الهجري ١٤٢٧هـ.

هناك تنظيرات فكرية كثيرة حول اجتثاث الإرهاب، تدخل في مفهوم الاجتهاد في التعامُل مع هذه الآفة العالمية من واقع مثالي، وربمَّا من زاوية واحدة أو أكثر، دون الإلمام بكل ما يحيط بمؤثِّرات الإرهاب. إلا أن العاملين المباشرين مع المشكلة المتصدِّين لها يدركون الكيفية التي يمكن معها تهميش مؤثِّرات الإرهاب ومثيراته، فلديهم العلم اليقين حول هذه الآفة، كل مواطن مخلص لدينه ووطنه لا بُدَّ أن يضع يده بأيدي المتصدِّين للإرهاب بالوقاية والمعالجة، ولهم منَّا التأييد والتعاطُف، والدعاء –قبل ذلك وبعده– بأن يعينهم الله تعالى على ما هم عليه.

العبادة الشاملة

بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك لماذا باتت ظاهرة التعبُّد في شهر رمضان فقط، دون بقية شهور السنة لدى البعض؟

– هذا السؤال تكتنفه ملحوظات عدَّة، ففيه تعميم تمَّ تبعيضٌ؟ المعلوم أن العبادة تتكثَّف في شهر رمضان المبارك، وفي مواسم أخرى، مثل عشر ذي الحجَّة، ونحوها. والعبادة قائمة ومستمرَّة طيلة العام. أنا لا أؤيِّد مثل هذا الطرح القائم على عدم الاستقرار، والتهويل من الأمور. المساجد عامرة أوقات الصلاة، إشاء المساجد في ازدياد –ولله الحمد– نادرًا ما نسمع عن مسجد هجره أهله؛ بسبب تخلُّفهم عن الصلاة. وعمروه بالعبادة في شهر رمضان المبارك فقط. الأمانة والسلوكيات التي يمليها الإسلام مراعاة بين الناس إلى حدٍّ كبير. نعم هناك تقصير وتهاون في الأشهر الأخرى. وهذا مدرك. على أنه لا بدَّ من التأكيد على أن العبادة مفهوم

المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 27-09-2006 العـــدد : 14641
الصفحـات : 27 المسلسل : 182

شامل، لا يقتصر على العبادات التوقيفية، فكلُّ ممارسة يُبتغى فيها وجه الله تعالى هي عبادة، ما أريد لها أن تكون كذلك، بما في ذلك الترفيه والاستمتاع بالمباحات في هذه الحياة.

لا إكراه على العبادة

هناك من يرى أن بعض مظاهر العبادة باتت عادة لدى البعض أكثر من منها عبادة وتدبر، كيف ترون ذلك وما أسبابه؟

– هذا من الأسئلة التي لا ترقى إلى أن تكون حقيقة قائمة. هناك قدر من التهويل في بعض الأمور. كون مظاهر العبادة عادة أو عبادة تعود إلى الشخص. ولا أحد يكره على العبادات حتى تكون عادات. عدم الإكراه ظاهر في كل العبادات. حتى لو أجبر أفراد على الأداء فإن ذلك لا يضمن أنهم يتعبّدون فعلاً، إذ إن للعبادت شروطاً وأركاناً وواجبات. شيء منها غير مرئي. وأولها النية التي محلّها القلب... وهكذا.

هنا تبرز عوامل الزهد والورع والأخذ بالأحوط، والمحافظة، واستحضار النية، والخشوع، والتبتّل إلى الله تعالى، وكل هذه تعود إلى الأشخاص في علاقتهم بالله تعالى، وهذه العوامل لا تفرض على كل الناس. الأعرابي الذي اكتفى بالحد الذي ينجيه من النار من العبادات لم ينكر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يحاوره، بل بشّره بخير، بينما أنكر –عليه الصلاة والسلام– على أولئك الذين اجتهدوا فأرادوا الامتناع عن المباحات، بل ربما المندوبات، بل أكثر من ذلك فروض الكفاية كالعمل والكسب، من أجل العبادة "المباشرة"، من صوم وصلاة ونحوهما من فروض العين التي لا تهاوُن فيها.